

هو العليم

النظرة التوحيدية سارية في جميع آيات القرآن والأحكام الشرعية

شرح حديث عنوان البصري - المحاضرة ١٧٧

ألقاها

آية الله الحاج السيد محمد محسن الحسيني الطهراني

قدس الله سره



@MadrastAlwamy



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

أثر الغذاء على سلوك الإنسان ومدى ترابطه مع سائر الأحكام الإسلامية.

تعقيباً على ما سبق من مطالب؛ حيث كان كلامنا حول كيفية التغذية وبيان تفاصيلها وكيفية تطبيقها عملياً في حياة الإنسان بما يلائم ظروفه وأحواله أسواء من حيث تأثيرها الإيجابي أم السلبي فقد استعرضنا - كما يذكر الإخوة - في الأيام والسنوات الماضية بعض المطالب على سبيل الاختصار والإجمال وقد وعدنا بالوفاء ببيانها وتفصيلها...

فقد ذكر الإمام عليه السلام عنواناً البصريّ بمسائل متعدّدة ذات صلة بموضوع التغذية وتناول الطعام مما يعني أنّ الأئمة عليهم السلام لا يقتصرون في بياناتهم على مجرد الأحكام الشرعيّة والصلاة والصيام فحسب بل إنهم عليهم السلام يهدفون - كما تهدف مدرسة الإسلام ككل - إلى بيان كافّة ما يحتاجه الإنسان في حياته وكلّ ما هو على تماس به وجميع ما يحيط به في مسيرها وما تمسّ حاجته إليه، ويدعون به إلى أن يراعي كلّ ذلك ويتصرّف إزاءه تصرّفاً منطقيّاً؛ فمثلاً لو فكّرنا في كيفية صناعة السيّارة فسنعدها قد تركبت من أجزاء متعدّدة وتوفّرت فيها خصائص معيّنة بدءاً من حديدتها الخارجيّ ثمّ استحكامها وأمانها ومسألة توفيرها في استهلاك البنزين والمحروقات وكذلك محرّكها وسائر العناصر الأخرى التي تؤثر في كيفية أدائها نجدها قد تركبت وتألّفت من جميع ذلك؛ والمهندس الذي يصمّمها إنّما يراعي كلّ هذا أثناء تصميمه

لها وصناعتها؛ فيقوم بإيجاد التناسب بين كل ما أشرنا إليه، فلو كان الإطار الأيمن مثلاً أكبر من الأيسر كأن يجعله إطار "تراكتور" مثلاً...!!! [ضحك من السيد] فكيف ستمشي السيارة حينئذ؟! كذلك "قطع السيلاندر" و "الباستونات" لا بد أن تكون متناسبة مع كمية المحروقات ونوعيتها.. ولا بد وأن تكون محكمة قويّة لتقوى على تحمّل هذه الحركة فلا تصاب بأعطال أفلو كانت من الحديد العاديّ فسوف يفسد المحرك وهكذا..

كذلك الأمر بالنسبة للأحكام الإسلامية يجب أن تكون من حيث ارتباطها بالإنسان وسيره المعنويّ في الدنيا متناسقة متناسبة ومع عدم التناسب فسوف يطغى بعضها على الآخر وهذا الطغيان سيؤدّي إلى توقّف الإنسان فلا يعود يقوى على التحرك تماماً كما لو دخل شخص إلى الصيدليّة وبدأ يتناول من الرفوف بادئاً بها من الأول وهكذا.. فلا شكّ أنّه سيموت على الفور لذلك لا بد وأن يكون كلّ شيء متناسباً.. لذا نرى في الآيات القرآنيّة أنّ الحيثيّة التوحيدية هي الغالبة على جميع الآيات والأحكام والحاكمة على سائر جوانب حياة الإنسان وتفصيلها فحقيقة التوحيد هي الغالبة والحاكمة على جميع الجهات الأخرى كلّ ذلك مقدّمة لكي تكون حركة الإنسان متوجّهة نحو الله ولكي يتمكن الإنسان من بلوغ مقام المعرفة وكي لا يبتلى في مسيره بالتوقّف، ولا يقع في أيّ تناقض.

تغيب النظرة التوحيدية عن الدراسات الفقهيّة المتأخّرة والاقتصار على الظاهر فقط

والحال أنّنا في هذه الأيام نلاحظ عدم الاكتراث وعدم الاهتمام بهذه المسألة الأساسيّة فما يطرح في هذه الأيام هو مجرد قيام الإنسان ببعض الوظائف بحيث يترتب عليها الثواب.. ولا تكليف أزيد من ذلك.. ولا يجب عليه أن يحقّق أو يبحث أو يتفحص ويتعمّق بأكثر من ذلك.

تأكيد العطاء على الاهتمام بالمسائل المعنوية في الأحكام الشرعية

فالحركة الفقهيّة التي نشاهدها في زماننا هذا والتي تتولّد منها المباني الأصوليّة في كتبنا المدوّنة الموجودة بين أيدينا خصوصاً في كتب المتأخّرين وذلك بصرف النظر عن بعضهم أمثال الشهيد الأوّل والشهيد الثاني والعلامة الحليّ وابن طاووس والشيخ المفيد.. فقد كان

الشيخ المفيد من أعظم الفقهاء.. وكذلك العرفاء العظام من الفقهاء أمثال المرحوم ملاحسين قلي الهمداني والمرحوم السيد علي القزويني وأمثالهم.. وكذلك المتأخرون منهم.. فإن لدى هؤلاء - من الناحية الفنية والفقهية والأصولية - رؤية خاصة حول كيفية الاجتهاد واستنباط الأحكام فجّل اهتمامهم إنّما كان منصباً على ذلك الجانب التوحيدي.. فهو الملاك عندهم.. ملاك الأحكام عندهم هو مدى الصلاح أو الفساد المترتب على حركة المكلف وسيره وقربه وبعده.. فالملاك هو مستوى النفع والفائدة من هذه الناحية.. فهل هذا العمل يوجب القرب أم أنّه يورث البعد؟! هذا هو الملاك وهو أدقّ الملاكات وأكثرها حساسية وأهميّة وعلى العلماء الفضلاء أن يولوا ذلك اهتمامهم ولا يخال الإنسان أن مبانيها هي مباني ظاهريّة فحسب وأنها تقوم دون رعاية لهذه المسائل الدقيقة فمع ضرورة مراعاة ظاهر الشريعة في الكثير من الأحيان وعدم جواز تخطّيها أبداً إلا أنّه في موارد أخرى ينبغي الالتفات إلى أنّ الشارع قد عيّن عدّة طرق مختلفة وعلى الفقيه أن يعيّن الهدف وينتخب الطريق الذي انتخبه الشارع.. ولا يدع المكلف يسير مثل الآلة أو "الروبوت"؟

ونحن في شرح دعاء أبي حمزة الثمالي كنّا قد تعرّضنا لكيفية الصلاة التي كان يأمر بإقامتها العظماء وقد بيّنا مطالب عديدة للرفقاء وكذلك بيّنا كيفية صلاة الآخرين أيضاً وكيف أنّهم يهتمون ببعض الأمور الأخرى.. فقد بيّنا جميع ذلك.. فنحن نتخيّل أنّه حينها تتوضأ يكون كلّ همّنا هو أن لا تؤخّر الصلاة فـ "جناب التلفزيون" مفتوح مع ما يحتوي من آلاف المصائب.. مضافاً إلى صوته المرتفع.. فنشرع بالصلاة على هذا الحال.. ثمّ أين نضع سجادة الصلاة؟؟ نضعها في زاوية بحيث نتمكّن من مشاهدة التلفزيون أثناء الصلاة.. كي لا يفوتنا شيء بالطبع.. فلا نفهم معنى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.. ولا نلتفت إلى أيّ من معاني الصلاة ولا نفقه شيئاً.. نعم هذه الصلاة صحيحة ظاهرياً ولا غبار عليها من ناحية إسقاط الواجب..

أذكر في يوم من الأيام ذهب الحقيير إلى إحدى الأماكن حيث كنت مدعوّاً لتناول طعام الغداء في منزل أحد الأرحام وبعد أن انتهينا من تناول الطعام جمع صاحب المنزل السفرة وقال: هل تحبّ سماع نشرة الأخبار؟ فقلت: لا ليس ضرورياً.... ولكنه كان مصراً وراغباً.. فقد كان

من الأشخاص المتابعين للأخبار ولما يجري في العالم...!!! [ضحك من السيد].. فرأيته قد وضع السجادة مقابل التلفزيون!! وقال لابنه: ارفع الصوت كي أتمكّن من الإصغاء أثناء الصلاة في آن واحد..!!! [تبسم من السيد].. وهو إنسان مؤمن ومتعبّد بالأمر التكليفيّة والسبب في الخلل هو عدم فهمه العميق فلم يعد يفكر إلا بالإتيان بالتكليف. فنحن لا نهتمّ بالارتباط بالله ولا نضع ذلك في دائرته وحدوده فنرجح مسائل الحياة اليوميّة البسيطة على التكليف الإلهي الحقيقي والواقعي.

الفرق بين النظرة المادية والنظرة الغيبية التوحيدية في الأحكام الشرعية

فالمسألة هي أنّ اهتمام مدرسة العظماء في ما يرتبط بالأحكام الشرعيّة إنّما ينصبّ على عالم المعنى وعالم الغيب.. عالم النور والبهاء والبهجة.. هذه هي حقيقة المسألة وضمن هذا القالب تأخذ الأحكام شكلها الحقيقي وتبلور..

فكم كان يقول المرحوم القاضي: لا تصلّوا في أيّ مكان من أماكن المنزل بشكل اعتباري أبل عليكم أن تنتخبوا المكان الأفضل بحيث تشعرون أنّه هو المكان الأفضل بالنسبة لسائر غرف وأماكن البيت! فالإنسان يشعر بذلك كما لو أحسّ بعدم التوجّه فيه فليتركه عندئذٍ وينتقل إلى مكان آخر.. وبشكل عام ينبغي ترك الأماكن الواسعة التي يكثر فيها التردّد.. كما وينبغي أن لا يكون هناك شيء ملفت للنظر.. فالمرحوم القاضي كان فقيهاً وعالمياً ومجتهداً وقد قرأ إلى ما شاء الله من الكتب.. ولكن لماذا لا نلاحظ هذه المسائل عند الآخرين؟؟ السبب هو أنّ نظر السيد علي القاضي قائم على علم الغيب بينما نحن نظرنّا ماديّ و"روبوتيّ" وآليّ.. على قاعدة "افعل وامض ولا تبال"!! توضاً وتوجّه إلى القبلة.. فالمهمّ أن تحرز صحة النطق وتقول: {ولا الضالين}.. و {إياك نعبد وإياك نستعين}... والباقي على الله وإن شاء الله.. الله يصلح كلّ شيء!!

نظرة المرحوم العلامة لبعض أحكام الحج وما ينبغي على الإنسان فعله

فنحن لا ننظر إلى الأمور نظرة غيبية وهذا هو المراد من التوجه إلى الهادة ورعايتها والتعامل معها بشكل مادي.. كان المرحوم العلامة يقول: حينما تريد أن تقوم بأمر عديدة كالكلام والتحرك.. أو الطواف حول الكعبة مثلاً.. أو أي عمل آخر فعلياً أن تتنبه أثناء الطواف إلى أن رسول الله و أمير المؤمنين كان يضعان أقدامهما على نفس هذا المكان.. يعني كانت أقدامهما الشريفة تدوس هذه الأرض التي تطؤها قدمك الآن.. فهي تدوس محل قدم رسول الله!! وحينئذ لا يمكن للإنسان أن يحس بشيء آخر.. فالذي يبقى "هو" فقط ولا يبقى إلا ذكر "الحق" وحده.. فيكون ذكرك هو ذكر التوحيداً فلا تنظر بعد ذلك إلى الأعلى ولا إلى الأسفل وإلى الأحجار المفروشة على الأرض.. بل عليك أن تغلق عينك.. ولا أعني العين الظاهرية؛ فلا يختلف الأمر بالنسبة إلى هذه الأمور.. بل المهم أن تتوجه عين قلبك الباطنية نحو ذاك الاتجاه..

فلو حركك شخص أثناء الطواف وأنت تمشي.. فليحركك.. ماذا عليك!! بعضهم يقولون بأن عليك أن تعيد.. عزيزي! حتى لو حركك غيرك فلا تجب الإعادة؛ فأنت قد مشيت هذه المسافة واجتزتها بيدك.. كذلك لو وقع لباسك مثلاً أو سقط رداؤك عن كتفك.. يقولون عليك أن تتوقف.. ويجب أن يكون كتفك موازياً للكعبة.. وعليك أن تتأكد من كونه موازياً أم غير مواز...!! [يتبسم السيد].. فهناك عليك أن تدقق كثيراً خاصة بين الحجر والمقام...!!! [يضحك السيد] هل رأيتم الفرق بين أصالة الهادة وأصالة عالم الغيب؟!

فالنظرة التوحيدية إنما تبني على هذه الرؤية الباطنية.. فيأتي ويدرس المدارك ويتأمل فيها على أساس هذه النظرة ويستخرج الحكم بناء على هذا الأساس.. بعد ذلك تلاحظ في نفسك أن الأثر يبدأ بالظهور.. وتبدأ النفس بالتغير.. فشعورك بهذا التغير وهذه النورانية إنما هي نتيجة لتلك النظرة التوحيدية.

وأما لو كان نظرك مادياً فلو طفت بدل الأشواط السبعة سبعين شوطاً... فلن تجني النفس من ذلك فائدة.. وهذه هي النظرة الهادية.

بينما النظرة الإلهية هي التي تربط بين جميع الأحكام التي شرعها الله وتجعلها قابلاً واحداً وهو أمر مهم جداً فلم يشرعها الله جزافاً.. بل أنزلها على أساس ترابط خاص فيما بينها حين تنزلت من ذلك المبدأ فهي مرتكزة على المساخنة والمجانسة بين الظاهر والباطن وأوفق هذه النظرة سببى التأثير الباطني على النفس محفوظاً في مكانه. بينما نحن نقوم عادة بتوهين ومساذجة هذه الأحكام وهذه التكاليف!! فنعمد إلى إنزالها وإفراغها من مضمونها.. فنهبط بها.. ثم نهبط بها.. إلى الحد الذي نجعلها وفق ذلك النحو المتعارف والعادي البسيط بحيث لا يعود المرء يجد فرقاً بين فعلنا وفعل "الإنسان الآلي" (روبوت) وبعدها نحكم عليها بالصحة استناداً إلى ملاك صحة صدورها من الإنسان الآلي (روبوت)!! فنقول له تم الأمر وهو صحيح؟!

كنت قد نقلت مطلباً عن المرحوم العلامة فيما يتعلّق برؤيته ونظرتة للحجّ ولعلكم تذكرون ذلك حيث يؤكّد على كفيّة توجّه الحاجّ أثناء سفره من بلاده نحو مكّة قاصداً القيام بأعمال الحجّ... لا أدري هل نقلت ذلك أم لا؟ - على العموم هو ضروريّ وينفع كمقدمة لما نحن فيه من بحثنا فكلامنا كان حول كفيّة التغذية وكفيّة تأثيرها على السير والسلوك وما هو المطلوب منها فيجب أن تتضح هذه المسائل بشكل جليّ.. والأساس في جميع ذلك هو أنّ ما يقرب إلى الله ليس أمراً عبثياً بل يجب أن يكون متناسباً مع حياة الإنسان بشكل كامل وإلا فسوف يبقى الإنسان إمّا في الاضطراب أو الركود أو سيبتلى بالخسران والهروب والابتعاد.. وقد طرّح حول هذا الموضوع العديد من المسائل أمسائل كثيرة جداً جداً.. وأرى الآن أنّ المطالب تندافع على ذهني.. وأنصوّر أنّي أوضححتها للأحبة..

ففي سفري الأول للحجّ حينما كان عمري سبع عشرة سنة حيث وصلنا في الليلة الأولى إلى المدينة مع الوالد وأخي الأكبر.. وكان هناك أشخاص معروفون من مسؤولي الهيئات والأفراد المبرزين.. وكنت أتكلّم عن مسألة من مسائلهم التي يتكلّمون عنها عادة.. وحينما رجع المرحوم الوالد وجلس، قال أحدهم له: كُنّا نتكلّم حول مسألة... وأبان له مجريات الحديث، ثمّ سأله عن رأيه فسكت وأبرز الرضا، وذلك باعتبار أنّ بحث الإخوة كان في سياق

أن الجميع متفقون على أن هذا السفر سفر متعب وشاق.. حيث ابتعدنا عن ذوينا.. وتركنا كسبنا وأعمالنا.. وعلى الأقل لم نهتم بها ولم نتابعها أثناء سفرنا إلا بشكل يسير.. فقد انقطعنا عن كل شيء في العالم.. وصرنا مالا كثيراً والحال أن الهال لا يأتي ببساطة وسهولةً فصرنا عمرنا وطاقاتنا..

والآن نريد أن نرى أي رتبة حصلنا عليها من هذه المسائل؛ من البعد عن الوطن وطول السفر والمدّة الطويلة من السفر والمصاريف وسائر الأمور... فطرح هذا السؤال أنه: ما هو الحدّ الأعلى للاستفادة من جميع ذلك؟ والحال أن نفس هذا السؤال كان قد طرح من قبل أو ذلك حينما كنت في سفر للعمرة قبل سفر الحجّ هذا.. حيث كنت مع عدّة من العلماء والوجوه والأعيان وكان قد طرح هذا السؤال أمامهم وكنت معهم بهذا اللباس الأبيض العربي فطرح السؤال وبعد ذلك صار كل واحد منهم يقدّم الآخر.. وحيث أن بعضهم كان بارزاً من الناحية العلمية فبدأ يقول: عليكم أن تكثروا من العمرة.. كي لا تكونوا قد صرفتم أموالكم سدى!! وكي لا تشعروا بالندم ولا تضيعوا الفرصة.. فحينئذ قلت في نفسي: يا إلهي!! وا ويلاه.. ليت الوالد العلامة حاضر لسمع!! ويستفيد من هذه الجلسة؟! فكم هو الفارق بين ما نسمعه الآن وبين ما تتكرّمون به من المطالب.. صحيح؟ حيث أن الوالد العلامة في سفر الحجّ هذا كان قد بيّن بعض المسائل فكان يقول: لا يجوز تكرار العمرة.. بينما ذاك يقول لو استطعتم أن تكثروا من العمرة كلّ يوم كي تكونوا استفدتم الحدّ الأعلى من الهال الذي بذلتموه.. ففي الإكثار من العمرة ثواب عظيم!! كذلك كان يقول لهم: عليكم أن تقتصروا على الصلاة التامة فقط.. كذلك ومن باب الاحتياط توكلون من يصلي عنكم ركعتي الطواف بشكل صحيح وبتلفظ سليم فيما لو لم تعرفوا.. وهكذا.. يعني كانت بياناته ضمن هذا الحد فقط.. نعم كان يتعرّض لمسألة التوسّل بصاحب الزمان وهو أمر جيّد وهكذا كان كلامه بهذا الشكل..

وحينما سمع العلامة نقل هذه المسائل قال: أسألكم وأجيبوا أنتم، حيث كان العديد منهم طاعناً في السن ستين.. سبعين سنة.. فأنا الوحيد بينهم الذي كان في سنّ السادسة عشر أو السابعة عشر من العمر [يضحك السيد]. فقال العلامة: لا شك أن كلاً منكم كان قد سافر

العديد من الأسفار في حياته.. إلى هنا وهناك فهل تلك الأسفار التي تذهبون فيها إلى أمريكا وأوروبا عشرة أيام أو عشرين يوماً.. وتصلون إلى أعمالكم وتقومون بها هل تفكرون أنكم تبتعدون عن العيال؟! وهل يخطر على بالكم أنكم تصرفون المال وتتعبون وتنفقون وووو؟! أم أنه لا يخطر على بالكم ذلك؟! فلماذا حينما نأتي إلى مكة نبدأ نحسب هذه المسائل؟! فنحمل آلة حاسبة!! حيث لم يكن كمبيوتر آنذاك!! لنحسب كم صرفنا وكم أنفقنا وكم وكم.. فهل سافرتكم بعمركم مثل هكذا سفر؟! هل مرّ عليكم في طوال عمركم أنكم صرفتم أموالاً خطيرة وهي أكثر بكثير مما تصرفونه في سفر الحج؟ فلماذا تفكرون بهذا الأسلوب هنا وتلتفتون إلى هذه المسائل ولا يخطر على بالكم شيء من ذلك في تلك الأسفار.. كذلك نساfer ونترك الأطفال ونبتعد عن العائلة.. وبدأ يستعرض هذه النكات واحدة تلو الأخرى..

فلو وزننا وقايسنا بين سفر مكة وغيرها فأيهما أهم وأنفع وأفيد؟! فأبي منة منّا الله علينا في ذلك؟! فقال: نحن في هذا السفر لم نصرف شيئاً من جيبنا.. ونحن في هذا السفر لم نبتعد ولم نغرّب.. لم نهجر ولم نبتعد عن الوطن.. ولم يتفق لنا أي شيء أصلاً.. وذلك فيما لو نظرنا إلى النتيجة التي نتوقعها من الله.. فما الذي صرفناه مقابل هذا العطاء العظيم.. فلو أراد الله أن يحاسبنا على هذا المال الذي فيها لو أردنا وضعه جانباً وتوفيره وادّخاره.. فلو أراد الله أن يحاسبنا على ذلك.. فيقول أين صرفت ذلك المال؟! أين ولماذا وكيف أخذت من ذلك.. فكم أعطيتك ووهبتك هنا أزيد مما سعت؟؟ كم مننت عليك.. حينئذ نعرف أن الله هو المعطي والمفضل، وأن المال ليس من جيبنا أبداً.. أو لو أراد أن يحاسبنا على أسفارنا التي نقضيها في الأناج والكيف وووو...

ضرورة الشعور بالحاجة والفقير أمام الله تعالى في جميع أعمالنا

حينما تكرم المرحوم العلامة بهذه المطالب طأطأ الجميع رؤوسهم إلى الأرض.. بعد ذلك قال: أيها الإخوة.. ما الذي قدّمناه أمام هذه النعمة؟! وما الذي بذلناه؟! وأي تعلق قد قطعناه من قلوبنا وأنفسنا..؟! لا شيء.. فيدنا خالية تماماً.. نعم أتينا بيد خالية، وبدأنا نمّد اليد

طالبين عناية الله ولطفه.. راجين الخير من ذاك الطرف فقط لا غير.. أمّا من جهتنا فجيوبنا خالية.. وليس لدينا إلا الفقر المحض.. أمّا من ذاك الطرف فهو غنيّ بالذات؛ بحيث أنّ بحر كرمه المتلاطم لا حدّ له.. جئنا بيد خالية.. فالنظرة الماديّة للإنسان لها حساب وكتاب مقابل العناية الإلهيّة ولطفه فمن ينظر بعين التوحيد وبرؤية أهل المعرفة فلا مجال له أن يعرض متاعه في هذا السوق.. أفهل للعبد شيء من نفسه؟ وهل للعبد دفتر حساب في البنك الإلهي؟! ما الذي يملكه العبد كي يعرضه.. صفر وصفر وصفر.. لا شيء..

بناء على هذه النظرة فلو فكّر الإنسان بذلك سوف يبدأ يحسّ بالفقر ويشعر بالحاجة وحالة الافتقار.. حينئذ تأتيه تلك العناية وتضاف النعمة الإلهيّة إليه.

فالأستاذ في صفّه وحصّة درسه أثناء عطاءه وشرحه للدرس.. ينظر إلى تلامذته من كان طلبه أعلى وشوقه واهتمامه أكثراً فحينما يكون خاضعاً بشكل أكبر؟! سوف يهتمّ به أكثر.. فهو ينظر إلى من كان منهم أشدّ خشوعاً.. وأيّهم يرى نفسه أحوج للأستاذ؟! فهل تتصوّرون أنّ الأستاذ محتاجٌ للتدريس.. لا عزيزي!! لأنّ الدرس هو لإعطاء العلم وفي حالة التعلم على الإنسان أن يكون متواضعاً وإلا فلو كنت تقول: أنا عندي.. فلماذا تأتي إذا؟ وما الذي تريده؟! هذه هي رؤية أهل التوحيد.. وهي نظرة العبوديّة.. فهي أن تنظر إلى جميع المسائل من الناحية الروحيّة والنورانيّة.. فالصلاة التي يريد أن يصلّيها الإنسان كيف يجب أن يصلّيها كي تكون مشتملة على هذه الروحية؟ وكذلك الصوم والحج والإنفاق.. فجميع هذه الأمور علينا أن نفكّر بكيفيّة إقامتها كي تكون مشتملة على هذه الروحيّة.. كذلك المسائل السياسيّة والاجتماعيّة يجب أن تكون مشتملة على رويّة التوحيد..

طريقة مواجهة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام لغاصبي الخلافة

فأمير المؤمنين حينما غضبوا الخلافة منه هل سبّ وفحش وتزلزل؟! هل جاء وجمع الناس للحرب والمواجهة؟ أم أنّه بقي عاقلاً موحداً، وقال: إذا لا تريدون أن تعطونا الخلافة نجلس.. نعم.. هكذا واجههم فلم يعمل ليصبح الشخص الأبرز بين الأفراد وأمام الآخرين أبل كان في

بعض الأوقات يشارك في صلاة أبي بكر.. نعم ليس دائماً!! يعني كان يقول له: حكومتكم مباركة عليكم.. فأنا عليّ أن أعمل شيئاً أحفظ الإسلام من خلاله كي لا يندرس ويزول.. ولا عمل لي معكم! ولا دخل لي بكم أنا عليّ أن أتحمّل مسؤولية الإسلام.. بحيث أجري المشيئة الإلهية.. وإذا كان الناس لا يريدوني ومعرضون عني.. فلا ضير..

عدم كون هدف الإمام علي من الحرب مادياً

واقِعاً يعجب الإنسان من عمل الإمام أمير المؤمنين.. وكذلك الحال بالنسبة لجميع الأئمة حيث كان لديهم كيفة خاصة في مواجهة حكام الظلم ولديهم أسلوب خاص؛ وذلك لأنّ نظر الإمام ليس مادياً شرعياً!! وفكره ليس مادياً شرعياً!! بل هو نوراني شرعي.. هي رؤية عالم الغيب الشرعية رؤية ذاك الجانب من الشريعة.. لذلك ترونه في بعض الأحيان يعمل هكذا، وفي أحيان أخرى يعمل بأسلوب آخر..

فهو يسعى لتأمين تلك الرؤية.. سواء في ذلك أمير المؤمنين والإمام الحسن وسيّد الشهداء والإمام السجاد.. وجميع ما كان يصدر منهم إنّما كان كذلك.. فجميع ذلك يحكي هذه المسألة؛ وهي أنّ الإمام لم يكن هدفه الوصول إلى الحكومة الظاهرية والتربع على كرسيها.. بدهة أنّ الوصول إلى الحكومة الظاهرية له طريق خاص.. وهو واضح فلو كان هدفه بلوغ الحكومة الظاهرية لدخل مع أهل صفين من الباب الذي دخل منه معاوية معهم.. ولألزمهم إمّا بالتسليم أو بالهجوم عليهم وما شابه ذلك، بحيث يتغلّب عليهم.. فالخطة التي يضعها طالب السلطة هي ظاهرية فحسب.. بينما أمير المؤمنين خطته مختلفة، وهذا الذي تحير!! ألم يكن هدفه أن يقتل معاوية؟! إذن لماذا خرجت من الكوفة.. لا من المدينة؟؟ فكتبت هذه الرسائل للأمرء ورؤساء القبائل.. وصرت تدعوهم للجهاد ومجاهبة ومقاومة معاوية؟! ألم يكن كلّ ذلك بصفتك خليفة للمسلمين.. فلماذا لم تكمل!! بينما نرى أنّه حينما جاؤوا إلى أمير المؤمنين، وقالوا ما هي إلا أمتار ونهبي الأمر.. فغيّر رأيه وأمرهم أن يتراجعوا، وقال لهم: ارجعوا.. ارجعوا..

ففي هذا الموقف الحرج والصعب لم يكن في قلبه فهم الولاية وحقيقة التشيع فسوف يتوقف ويصدم ويصعق!! فأنت الذي قلت لنا تعالوا لنخلع معاوية... ما الذي تغير؟!!

نعم من لم يكن شيعياً حقيقياً يدخل الشك في قلبه ويصدم.. كالعطشان الذي يقطع الطرق للوصول إلى النبع.. وما إن يصل إليه ويعثر عليه.. يقول هذا ماؤه مشكوك وفيه شبهة فلنرجع!!! إه.. ماذا جرى!!.. فقد قطعنا كل هذه المسافة وتركنا كل شيء وتحملنا الصعاب والمشقات.. ثم الآن تقول: لا.. ارجعوا؟!!

هكذا كان هؤلاء يحكمون على فعل أمير المؤمنين من منظار ظاهري فيقولون: جئت بنا من المدينة إلى هنا والآن بعد أن وصلت يدنا إلى بلعوم معاوية تقول لنا: ارجعوا؟!!

الناس في ذلك الزمان لم يكونوا متوجهين لهذا الأفق وهذه النظرة التوحيدية.. بل كانوا غارقين في نظرة الفقه الظاهري.. وملاحظة الشريعة الظاهرية فحسب.. فعلى أساس فهمهم وحساباتهم.. يفهمون أن الحق معهم بينما الإمام يقول لهم: إن الوصول إلى الحكومة مع الخيانة ليس من عملي.. فتلك الحكومة التي يقام فيها الصلاة والصوم والجمعة ووو مع منع الماء هي ليست عملي..

نعم أنا أحضرتكم وأرسلت رسائلي إليكم ودعوت القبائل.. فالمسافة من مكة إلى صفين أكثر من مائتي فرسخ.. وقد أتعبتكم.. فهل تعرفون في هذا السفر ما هو فكري وأين هدي؟!!

فأين تفكرون أنتم وأين أفكر أنا.. ولكن هم لم يريدوا أن يرتوا من هذا النبع المعين.. ولو كانوا يريدون أمير المؤمنين لكانت المسألة قد اتضحت مباشرة بعد منع الماء، ولكنوا فهموا أن المسألة قد اتضحت.. كانوا ظاهريين نعم بعضهم كانوا قد فهموا.. فرموز القوم كانوا يفهمون.. والإمام يقول لهم: نعم نعم هذا هو الصحيح.. يفهمون وقلوبهم باردة مطمئنة يقولون للإمام: أنت الذي علمتنا التوحيد والسير على أساس التوحيد.. واقعا كم هو عجيب ورائع؟

معرفة عمرو بن العاص لأمر المؤمنين كانت معرفة جليلة

فأمر المؤمنين يريد أن يعلمنا يقول لنا: ليكن فقهاك توحيدياً وشريعتك توحيدية..
فضرب عمرو بن العاص بالسيف هو أمر واجب.. ولا بدّ من ضرب هذا الرأس لأنه عدو لله..
وعدو للإسلام وعدو للولاية.. ويجب أن تضربه بالسيف ولكن ما إن أراد أمير المؤمنين أن
يفعل ذلك جاء عمرو بن العاص ليعلن استغاثته منه.. يعني عمرو بن العاص يقول: أنا أعرف
حياءك وكرامتك ورفعتك وعزة نفسك يا أمير المؤمنين.. وأنت لديك تلك الرؤية التوحيدية..
فعمرو بن العاص يعرف أن أمير المؤمنين لديه رؤية توحيدية أو الله وبالله وتالله يعرف كل
ذلك.. فممكّن أن يكون قد عرف علياً أكثر من الكثير منّا.. فعمرو بن العاص يعرف أن سيف
عليّ ليس للحقد والرياسة والغلّ والمقام والدنيا.. يعرف ويعرف ويعرف الكثير.. لذلك مع
علمه ومعرفته بكلّ ذلك قد أدرك أن المسألة سهلة مع أمير المؤمنين [يضحك] فعمرو بن
العاص إنّما يخاف فيما لو كان الخصم هو غير عليّ!! لذلك حربته ضد أمير المؤمنين هي معرفته
به.. فأنا أعرفك أكثر من الجميع.. فأمر المؤمنين وليّ الله.. فما إن يرى ذلك يغض طرفه..

وهو ما يعني أن الوصول إلى الخلافة قد تمّ.. فجميع حرب صفين كانت من عمرو بن
العاص ولا دخل فيها لمعاوية.. فجميع هذه المتاعب ذهبت سدى.. فكلّ هذه المتاعب
والزحف بالعسكر والرسائل وثمانية عشرة شهراً.. طارت كلّها في الهواء.. لا ليس المقصود
أنّها بلا فائدة أصلاً.. فهناك شهداء وو.. يعني هي بلا فائدة بحسب الرؤية الظاهرية.. وأما في
الواقع فهي عين القرب والوصل والحقيقية.. لماذا؟ لأنّ الشريعة هي توحيدية وفقه عليّ هو فقه
توحيدي.. وهو يستنبط مكارم الأخلاق على هذا الأساس ويحقّقها في هذا العالم ووجوبه
وإقدامه وأخلاقه وتوقفه وكفّ نفسه ناشئ من هذه الحقيقة..

وهذه المسألة هي أساس الأحكام وجميع الأحكام تتشكّل بهذا الشكل أسواء الأكل أم

غيره..

أتصوّر أنه لم يبق وقت.. نعم زاد الوقت عن الحدّ ومضى.

إنشاء الله نكون على مباني ولاية أمير المؤمنين عليه السلام أعني نثبت على لوازم الولاية
تلك الولاية الحقّ تماماً كما يجب أن تنجز وتتحقّق في العالم.. وأن نعمل بها و نستفيد منها إن شاء
الله..

اللهم صل على محمد وآل محمد